دور الرحالة والمستكشفين الأوروبيين في الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية.

أ. د عبد القادر بوباية*

مقدمة: إن كتابة التاريخ الوطني مهمة ملقاة على عاتق المثقفين عامة والمؤرخين منهم خاصة، ذلك لأنه ولحدّ السّاعة مازالت الكتابات الإستعمارية هي المصدر الوحيد لجلّ ما يتعلق بتاريخنا وبخاصة في الفترة الإستعمارية، ومن ثمّ فإن كثيرا من المغالطات والتزييفات مازالت عالقة بهذا التاريخ.

إنطلاقا من هذه الحقيقة، فإن كتابة التاريخ الوطني بأقلام وطنية يصبح أكثر من ضرورة ملحة وفي هذا الإطار، فإن الملتقيات التاريخية التي تنظمها بعض الوزارات وعلى رأسها وزارة المجاهدين والجمعيات الوطنية تساهم بشكل فعّال في القيام بهذه المهمة الوطنية ومساهمة مني في هذا المجهود الوطني سأشارك بهذه المحاضرة المتواضعة التي يتمحور موضوعها حول الدور الذي قام به الرحّالة والمستكشفون في التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية.

إن ضم القسم الأكبر من القارة الإفريقية بصفة عامة والصحراء الكبرى بصفة خاصة يدخل في إطار المرحلة الإمبريالية القاضية باقتسام القارة السمراء بين القوى العظمى ولذلك عرفت هذه المناطق توافد عدد من الرحالة والمستكشفين كان هدفهم الأساسي التعرّف على كل ما يتعلق بالصحراء الكبرى والمناطق الواقعة في جنوبها.

لقد عرف الأوروبيون الصحراء وعلاقاتها التجارية المزدهرة مع بلدان شمال إفريقيا خلال القرون الوسطى والحديثة من خلال ما كتبه الرحالة والجغرافيون المسلمون من أمثال أبي عبيد البكرى صاحب كتاب "المسالك والممالك" وابن حوقل مؤلف كتاب "صورة الأرض" والشريف الإدريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وابن بطوطة مؤلف كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" وحسن الوزان صاحب كتاب "وصف إفريقيا" وغيرهم ومن ثم عزموا على غزو الصحراء واستعمارها ومن أجل تيسير ذلك

*– أستاذ التعليم العالي في تاريخ المغرب الإسلامي– قسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران السانية.

إهتموا بمعرفة الطرق الصحراوية، وتتبع الأنهار الإفريقية، وأنشأوا الجمعيات الجغرافية والعلمية التي شجعت إرسال البعثات الإستكشافية وحددت مهمتها الأساسية في جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات المتعلقة بهذه المناطق لتسهيل مهمة الإستعمار وكانت إنقلترا السباقة في هذه المجال حيث شكلت سنة 1788م جمعية أطلق عليها "الجمعية الإفريقية" وهي تستهدف دراسة هذه المناطق وجمع كل ما يمكن من المعلومات عنها وعن سكانها بقصد التوغل داخل القارة [1].

وفي الربع الأول من القرن التاسع عشر دخلت فرنسا المنافسة خوفا من استحواذ بريطانيا وألمانيا على مناطق واسعة من الصحراء خاصة وإفريقيا عامة.

إهتمام الإستعمار الفرنسي بالصحراء ودوافعه:- بعد نجاحهم في السيطرة على القسم الشمالي من الجزائر، تحمس الفرنسيون لبسط نفوذهم على الصحراء الإفريقية إلا أن مقاومة سكانها أعاقت تقدم القوات الفرنسية وأخرت سيطرتها على كامل الصحراء إلى نهاية القرن التاسع عشر ويمكن تفسير هذا الإهتمام الكبير الذي أولاه الفرنسيون للصحراء بما يلي:

1- يتمثل الهدف الأساسي للفرنسيين في التوسع الإستعماري والذي أسموه بالإستكشاف والتعرف على هذه المناطق المترامية الأطراف واقترن هذا الغزو والتوسع الاستعماري بمحاولة التعرف على إمكانات الصحراء الإقتصادية والبشرية واستكشاف المظاهر الجغرافية المختلفة للصحراء كما اقترن أيضا بدراسة المجموعات السكانية والتعرف على عاداتها وتقاليدها وتاريخها السياسي والحضاري وأوضاعها الإقتصادية والإجتماعية والثقافية.

2- تحقيق أهداف إستراتيجية وتجارية ويمكن أن نستشف ذلك من خلال قراءة التقرير الذي رفعه الماريشال سولت SOULT- وزير الحربية -إلى الملك لويس فيليب والذي قال فيه :" يجب أن تؤلف الصحراء الجزائرية صنفا ثالثا من الجهات الإدارية، ففي هذه الجهات لا أثر للمعمرين ولا تطأها الجيوش إلا عرضا لقمع الفوضى أو لإعداد ظروف ملائمة لإقامة العلاقات التجارية أو لتوسيعها وهي مناطق تفتح لنا المجال لطرق هامة في الحركة التجارية المؤمنة" [2] ويصب التقرير الذي أرسله الوالي العام بيجو إلى الماريشال سولت في نفس الإتجاه وفيه يقول:" وبسيطرتنا على هذه المناطق تنفتح لنا آفاق واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية..." [3]

3- محاولة وضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية والمعبدة وأسلاك الهاتف لتسهيل سبل التنقل في ظروف آمنة للقوات العسكرية بين مختلف المناطق الصحراوية ومن أجل تحقيق

ذلك شرع الفرنسيون في دراسة المظاهر التضاريسية والطوبوغرافية والمناخية لتحديد المناطق التي تصلح لمد هذه الشبكة من السكك الحديدية والطرق البرية وتحديد إتجاهاتها والذين سيكلفون بإنجاز هذه الدراسة هم المستكشفون والدارسون الذين استغلوا طرق القوافل الصحراوية للإستفادة منها في مشاريعهم الإستعمارية ويفتحوا للتجارة الفرنسية طريقا تتغلغل من خلاله إلى قلب القارة الإفريقية كما حاولوا أن يستفيدوا من كتب الرحّالة العرب وكبار مؤرخيهم وبذلك أمكنهم التعرف على شبكة الطرق الصحراوية التي وضعوا لها رسومات وخرائط يسّرت مهمة الإستعمار [4].

4– توفير الأمن للمعمرين وللمناطق التي يتواجدون بها في الشمال، لأن ثورات الشعب الجزائري في الشمال كانت سببا في تحول الواحات الصحراوية في الجنوب إلى معاقل للثوار والمجاهدين الذين كانوا يفرون إليها للإعتصام والإستعداد لمواجهة العدو ولذلك عزم الفرنسيون على التوسع في أعماق الصحراء وخاصة بعد ثورة سكان واحة الزعاطشة بمنطقة بسكرة عام 1849م وحركة الشريف محمد بن عبد الله بالأغواط وورقلة وتوقرت وثورة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني عام 1864م [5]، ومما حتم هذا الأمر أيضا تعرض بعض الحملات الفرنسية إلى هجمات المقاومين الجزائريين في أعماق الصحراء، وأدى هذا إلى تقوية عزمهم على التوسع والسيطرة على كل الواحات الصحراوية ووضع حاميات عسكرية بها لتضمن لهم الأمن وتسمح لهم بالتصدي لمقاومة سكان الصحراء.

لقد شاهد الرحالة الألماني جيرهارد رولف– الذي زار إقليم توات سنة 1864م– مدى فعالية مشاركة أهل الجنوب للشمال فقال على الخصوص: "قبل كل شيء على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية وادي الساورة، فمن هناك بالضبط تبدأ كل المصاعب وكل الفوضى ومادام الفرنسيون لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية فلن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران [6].

5– العمل على ربط المستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا عن طريق الصحراء بمستعمراتها في إفريقيـــا الغربية وخاصة السنغال التي استقر لها الأمر فيه منذ سنة 1856م– 1857م ومالي الذي احتلته سنة 1880م [7] وما يؤكد هذا ألأمر هو القرار الذي إتخذته الجمعية الجغرافية في باريس سنة 1855م والقاضي "بتقديم مبلغ 6000 فرنك لكل من يقوم

برحلة من الجزائر إلى السنغال أو بالاتجاه المعاكس بشرط أن يمر بمدينة تمبوكتو ويأتي بمعلومات دقيقة وجديدة حول القوافل التي تعبر هذه القفار." (8)

نشاط الرحالة والمستكشفين: كان الإنقليز والألمان السباقون إلى إكتشاف القارة الإفريقية وخاصة المناطق الداخلية منها، وخوفا من استحواذ هاذين البلدين على القارة السمراء ، قررت فرنسا تشجيع مواطنيها للقيام برحلات هدفها إستكشاف الأجزاء غير المعروفة من هذه القارة ولتحفيزهم على القيام بذلك قررت الجمعية الجغرافية الفرنسية تخصيص مبلغ مالي مكافأة لأول فرنسي ينقل ملاحظات إيجابية دقيقة عن تمبوكتو وعن المناطق الداخلية للقارة الإفريقية. (9)

إن هذه الرحلات كانت تمهد للتوسع الفرنسي في المناطق الصحراوية ودليلنا في ذلك تصريحات وكتابات الفرنسيين أنفسهم ومن ذلك ماجاء في نهاية التقرير الذي وجهه الأمير هنري دورليان (Henri D'Orléans) إلى الوالي العام بالجزائر وهو يتكلم عن الحملة الفرنسية التي استولت على بسكرة في 4 مارس 1844م حيث قال :" لقد بعثت عيوني من الضباط الذين يحسنون اللغة العربية فاختلطوا بجميع القبائل و في ظرف عشرة أيام أتوني بالإرشادات السياسية اللازمة والإحصاءات الصحية التي مكنتني من إنشاء سلطة متينة واتخاذ التدابير الأولى المستعجلة لفائدة فرنسا." (10)

لقد شارك في هذه الرحلات الإستكشافية رحالة ومستكشفون من جنسيات مختلفة ولكننا سنقتصر في محاضرتنا هاته على ذكر نشاط الرحالة الفرنسيين بالدرجة الأولى وبعض الأجانب الذين عملوا لمصلحة فرنسا مع العلم أن التنافس الإستعماري الذي اشتد ما بين الدول الكبرى كان يحتم على كل رحالة أن يخدم مصلحة بلده بالدرجة الأولى.

1– روني كايي (Caillé): يعتبر من أوائل المغامرين الفرنسيين الذين توغلوا في أعماق الصحراء وقد شرع كايي في رحلته إلى تمبوكتو سنة 1827م مدعيا القبائل التي يمر بها في طريقه أنه مصري تربى في فرنسا منذ صغره وفي 14 مارس 1828م وصل هذا المستكشف إلى نهر النيجر ثم دخل مدينة تمبوكتو في 20 أفريل وبذلك كان أول أوروبي يعود بوصف دقيق لهذه المدينة ومنها عاد عبر الصحراء إلى مدينة طنجة فمر بمنطقة توات وتافيلالت التي وصل إليها في شهر جويلية وفي 14 أوت دخل إلى مدينة فاس.

سجل كايي ملاحظات وأنجز رسوما قيمة أثناء رحلته و"بذلك فقد قدم إلى فرنسا والمصالح المختصة بالتوسع الإستعماري معلومات جغرافية وحضارية هامة على هذه المناطق،

ساعدتها فيما بعد في عمليات الغزو الفرنسي للجنوب الجزائري والتوسع في الصحراء الإفريقية وكشفت لها أسرار هذه الأصقاع." [11]

2- النقيب بون مان (BONNEMAIN): قام هذا النقيب سنة 1856م برحلة إلى غدامس وتعرف على الطريق الرابط بين الوادي وغدامس ووضع رسما لطريقين جغرافيين يربطان بينهما كماوضع مخططا للمدينة وجلب الكثير من المعلومات ذات الطابع التجاري. [12]

3- هنري دوفيري (DUVEYRIER): يعتبر من أبرز الرحالة الفرنسيين نظرا لتعدد رحلاته وما قدمه من معلومات حول المناطق التي زارها.

قام برحلة تمهيدية إلى الجزائر سنة 1857م زار خلالها إلى جانب العاصمة، الهضاب العليا والأغواط والجانب الصحراوي من الأوراس وفي واحة الأغواط تعرف دوفيري بأحد رجال التوارق وبعد عودته نشر دراسة عن القبائل البربرية ضمنها ترجمة لمفردات من لغتهم وفي نفس السنة قابل المستكشف الألماني هنري بارث الذي قدم له كثيرا من النصائح والتعليمات التي تفيده في سفره وعندما توفي هذا الأخير حولت أسرته إلى دوفيري جزءا مهما من أوراقه ووثائقه فاستفاد منها كثيرا في رحلته الكبرى.

قام دوفيري بإعداد رحلته الإستكشافية فاطلع على كثير من الكتب واستشار عددا كبيرا من المتخصصين الأوروبيين في شؤون الصحراء كما تعلم الأدوات وطرق تحديد المواقع وقام بزيارات إلى المتاحف أين أتم معلوماته في الجيولوجيا وفي علم الطبيعة وحصل على معلومات عن الإيثنولوجيا والسلالات الصحراوية وبعد سنة من التحضير والإستعداد سافر إلى الجزائر وذلك سنة 1859م ومنها إتجه إلى بسكرة (8 ماي 1859م) ثم غرداية ومنها إلى القليعة التي لم تكن قد وطأها قدم أوروبي قبله.

قام دوفيري ببعض العمليات الفلكية وذلك في ظروف قاسية نظرا لإستياء الأهالي من وجوده رغم أنه كان يرتدي أثناء رحلته ثياب سكان المنطقة وهو الأمر الذي اضطره إلى العودة من جديد إلى الجزائر، وبعد هذه الرحلة في جنوب الجزائر، قام برحلة أخرى في جنوب قسنطينة وتونس وفي رحلته إلى التوارق قام بأبحاث مستفيضة في كل مكان مر به عن السكان ولتحديد موقعه الجغرافي وللتعرف عن النباتات والمعادن التي تصادفه في طريقه.

إتجه دوفيري إلى توارق الشمال المقيمين بجبال طاسيلي إنطلاقا من غدامس وفي طريقه وجد مساعدة كبيرة من شخصين من التوارق هما الأمينوكال إيخنوكن والشيخ عثمان كما دعمه نابليون الثالث في مهمته.

وصل دوفيري إلى غات وكانت مدينة مستقلة وقابله سكانها بعداء شديد خوفا من نواياه الحقيقية المتمثلة في بسط السيطرة الفرنسية على المنطقة والتحكم في تجارتها في الوقت الذي رحب به التوارق واستغل وجوده بينهم فتعلم لغة تماشق وحروفها الهجائية (التيفيناغ) وصار يحضر إجتماعات القبيلة وينتقل معها وهو في كل ذلك يتعلم ويسجل ملاحظاته.

عاد إلى الجزائر فطلب منه الوالي العام أن يقدم تقريرا مفصلا مزودا بخريطة عن رحلته وبعد ما أنجز عمله مرض بحمى التيفويد وبعد ثلاثة أشهر من المرض أصيب بفقدان الذاكرة ومع ذلك فإن المذكرات والملاحظات التي سجلها كتبت بعناية ودقة وبعد ثلاث سنوات نشر كتابه القيم عن التوارق تحت عنوان "توارق الشمال" وهو عبارة عن دراسة شاملة لمنطقة التوارق في الشماليين كما تتضمن الجغرافيا الطبيعية وطبقات الأرض وموارد الماء كما تشمل ملاحظات تتعلق بالحيوانات والنباتات وأحوال المعيشة والطقوس الدينية وأخلاق التوارق وعادتهم وتقاليده وأصولهم.[13]

بعد حرب 1870م ضد ألمانيا إستأنف دوفيري أبحاثه ودراساته فوضع كتابا كبيرا عن الطرق الدينية ونشر عددا من الوثائق عن جغرافية إفريقيا وأصبح مستشارا وناصحا لكل من أراد القيام برحلة إلى الصحراء.[14]

4- جيرهارد رولفس (Gerhard Rohlfs): هو من أصل ألماني،إنخرط في اللفيف الأجنبي الفرنسي وشارك في العمليات العسكرية التي تمت في بلاد القبائل وتعلم خلالها اللغة العربية واكتسب معرفة بعادات الأهالي وتقاليدهم، غادر اللفيف الأجنبي سنة 1861م ثم قام بحلق رأسه وأعلن إسلامه ثم بدأ رحلته سنة 1862م من تافيلايت لكن السكان شككوا في إسلامه فأسروه ولم ينقذه من إنتقامهم سوى عملية الختان التي كان قد قام به ورغم اعتداء دليله عليه نجح في مواصلة رحلته في اتجاه البحر الأبيض المتوسط عبر جنوب وهران.

رغم فشل هذه الرحلة قرر رولفس القيام برحلة جديدة إلى تمبوكتو عن طريق الصحراء الجزائرية ولكن ثورة أولاد سيدي الشيخ منعته من ذلك وعندئذ قرر أن يسلك طريقا آخر إنطلاقا من المغرب الأقصى.

عاد رولفس إلى تافيلالت ودرس بعناية مجموعة الواحات المغربية والجزائرية المتاخمة لها قبل أن يواصل رحلته رفقة ثلاثة من الأهالي إلى توات ثم إلى إيقلي فإلى بني عباس ثم أدرار ومن هناك عرج إلى الشرق وفي 1864/09/17م وصل إلى عين صالح وكان وصفه لهذه المدينة، الوصف الوحيد الذي وصل إلى العالم قبل احتلال الفرنسيين لها في نهاية القرن التاسع عشر.

لقد نجح رولفس في اختراق الصحراء من المغرب الأقصى حتى ليبيا عبر الصحراء الجزائرية.(15)

5- بول صوليي (Paul Soleillet): شرع في تحضير رحلته منذ سنة 1866م وذلك بالتعرف على عادات وتقاليد سكان الجزائر والتعود على لغتهم كما درس كتب التاريخ والجغرافيا والكتابات الإقتصادية حول إفريقيا.

غادر مرسيليا في 6 ديسمبر 1872م متجها إلى الجزائر وبعد إنهاء الإستعدادات بدأ رحلته نحو عين صالـــح فزار الأغـــواط و غرداية ثم دخل متليلي التي غادرها في 1873/02/14م وفي 1873/02/19م بدأ كما يقول "رحلته الاستكشافية الحقيقية" من المنيعة إلى عين صالح وكانت بعثته تتكون من 26 فردا وعشر جمال وثلاثة خيول وفي 1873/02/23م وصل إلى المنيعة وفي 6 مارس 1873م وصل إلى مشارف عين صالح التي رفض أصحاب قصبتها أن يفتحوا الأبواب للبعثة فاضطر صوليي إلى العودة من حيث أتى ومع ذلك فقد قدم معلومات هامة في كتابه وخاصة حول هضبة تادمايت وماجاورها والتي استفادت منها سلطات الاستعمار في توسعها في الجنوب.(16)

6- آخرون: نظم فيل (Vill) رحلة إلى حوض الحضنة والصحراء في أواخر الستينيات كما قام إيروينق دوباري (Erwing de bary) برحلة قادته إلى مدينة غات كما زار توارق آجار وطاسيلي وتوفي بمدينة غات خلال رحلته هاته وذلك عام 1877م.(17)

نتائـــج الرحـــلات الإستكشافيـــة:

1- الإهتمام بدراسة الإمكانات الإقتصادية التي تتوفر عليها هذه المناطق والتعرف على المظاهر الجغرافية الطبيعية وعلى مصادر المياه والثروات الزراعية وذلك بهدف استغلالها والإستفادة منها خلال التوسع وبعده وبفضل ذلك تم إنجاز مجموعة من الدراسات والأبحاث حيث درس أحد الضباط أوجيرا(Augieras) المظاهر الطوبوغرافية والآبار المائية لمنطقة ورقلة، واهتم بربروقر(Berbrugger) بدراسة الآبار والإنتاج الفلاحي لمنطقة وادي ريغ واهتم داتانو

بدراسة الأرض والإنتاج وكيفية الإستغلال الإقتصادي للمنطقة الصحراوية، ودرس بيسي (Bisset) منطقة تديكلت من الناحية الجغرافية والبشرية ومصادر الثروة ودرس كانسل (Cancel) جغرافية عرق إيقدي وواد الساورة وتعرض كابوري (Capot-Rey) لأهمية آبار وادي ريغ من الناحية الإقتصادية والسياسية ودرس دوليك (Deluc) مصادر المياه في الجنوب الوهراني.

2- تحقيق الأهداف التجارية للإستعمار الفرنسي: لقد وقع تنفيذ الأغراض التجارية التي بدت واضحة منذ بداية الاحتلال الفرنسي بعدد ضخم من "المهمات" التي كانت تسبق الوحدات العسكرية أو تصحبها وذلك للقيام بمعاينة المكان لتيسير الغزو وبدراسات مضبوطة للأسواق التجارية فمنذ سنة 1848م قام التجار الذين استقروا بقسنطينة بغزو سوق توقرث ونشر براكس(Prax) دراسة حول "العلاقات التجارية الجزائرية مع مكة والسودان" في سنة 1851م وفي سنة 1859م قام هزي دوفيري برحلة إلى القليعة ثم دخل في حماية إيخنوكن وذلك للقيام بزيارة سوق غدامس وجمع الوثائق والمعلومات التي نشرت سنة 1864م في كتاب عنوانه" توارق الشمال" كما تحصل دوفيري على معاهدة تجارية مع زعيم التوارق سنة 1862م والتي يلتزم بمقتضاها هؤلاء بأن"يساعدوا مرور التجار الفرنسيين أو الأهالي عبر أراضهم مع الإلتزام بحمايتهم حتى وصولهم إلى السودان"[18] ومن جهتها كلفت الغرفة التجارية بالجزائر بول صوليي سنة 1874م بمهمة"تقديم بعض منتوجاتها الصناعية لسكان الصحراء الوسطى"[19]

لم تلق هذه العمليات الإستطلاعية إلى ذلك الحين شيئا من الحواجز لأن رؤوساء تلك المناطق وسكانها وحتى الرحل أنفسهم كانوا يرون في هذا التصرف فرصة لربط علاقات متوازنة بفضل الوحدة القديمة بين التل والصحراء ولكن الواقع كان غير ذلك أذ أن الجيش كان يعقب مباشرة تلك البعثات التجارية وفي حالة وصول الجيوش قبل البعثات فإنها تشرع في استقصاء الأسواق لفائدة الإستعمار التجاري وفي نفس الوقت تقوم بالتعرف على القوة العسكرية المحلية وهو الأمر الذي أنيط ببعض الدراسات مثل دراسة دوماس (Daumas) بعنوان " الصحراء الجزائرية" سنة 1842م أو دراسة دي كولومب (De Colomb) بعنوان "إكتشاف القصور وصحراء جهة وهران" سنة1858م إضافة إلى بحث آخر عنوانه "الصحراء الكبرى" صدر سنة 1848م والذي ركز على تقييم الإمكانات المتاحة لاستعمال طريق القوافل من ورقلة إلى أقاديس مرورا بالقليعة وتيمون وعين صالح والهقار.[20]

3- توفير الأمن للمعمرين في الشمال وبداية التوسع في الجنوب: لقي الجيش الفرنسي مقاومة عنيفة بالصحراء إلى درجة أن سكان تلك المناطق كانوا يشاركون في التحركات التي شهدتها المناطق الشمالية والدليل على ذلك هو أن نفوذ الأمير عبد القادر في أوج قوته(1839) جعلت خليفته يزيح الفرنسيين عن بسكرة والزيبان وكانت الأغواط تدفع له الإتاوة بعد القضاء على التيجانية في عين ماضي وامتدت سلطته إلى وادي ريغ والمزاب كما سيرحب بمقدمه أولاد سيدي الشيخ وأولاد نايل كما انضم إليه أهالي القصور في جنوب وهران.

نظرا لما تقدم فإن بداية التوغل في الصحراء كانت مصحوبة بمحاربة الأميرعبد القادر حيث قام الفرنسيون باحتلال بسكرة والأغواط لأول مرة سنة 1844م وفي سنة 1845م استولى جيري (Gery) على قصور حميان وستيتن وغسول وبريزنة وأثناء إحتلال منطقة القبائل الشرقية والأوراس ثارت الحضنة والزيبان وأيدهما منطقة مزاب وانتهت هذه الثورات بفرض السيطرة الفرنسية على واحات الزعاطشة وبوسعادة سنة 1849م وتمت السيطرة على الأغواط سنة 1852م بعد ما قاوم السكان فرادى وجماعات الإحتلال الفرنسي وسمح الإستيلاء النهائي على الأغواط للماريشال راندون بمد نفوذ الاستعمار الفرنسي إلى ورقلة (1854م) كما فرض معاهدة على المزاب 29 أفريل سنة 1853م جعلت هذه المنطقة تابعة لفرنسا.

الخـــــاتمة: مما لاشك فيه أن الاستعمار الفرنسي قد حضر عملية الإستيلاء على الجزائر والتوسع عبر أراضيها بشكل جيد وكان الرحالة والمستكشفون حجر الزاوية في هذه العملية وذلك لأنهم جمعوا كمية ضخمة من المعلومات عن كل ما يتعلق بسكان هذه المناطق (عاداتهم وتقاليدهم وتنظيماتهم وقواتهم...) وبطبيعتها الإقتصادية وخاصة في المجال التجاري نظرا للدور الكبير الذي كانت تلعبه في ربط الصلات التجارية بين شمال إفريقيا والمناطق الواقعة جنوب الصحراء وبفضل هذه المعلومات أمكن لجيوش الإحتلال ترتيب الأمور المادية التي ستسمح لهم بالإستيلاء على الصحراء الجزائرية رغم المقاومة التي قام بها سكان هذه المناطق الذين نجحوا في تأخير السيطرة الفرنسية على كامل التراب الجزائري إلى غاية بداية القرن العشرين.

إن هؤلاء الرحالة والمستكشفون مهدوا للإحتلال ويسروا إنجازه ذلك لأنهم زودوه بكافة المعلومات والخرائط والرسومات التي يسرت له التحرك في هذه المناطق وانطلاقا من هذه الحقيقة فإنه لا يمكن موافقة الرأي الذي يقول بأنهم قاموا برحلاتهم هاته رغم كل ما تنطوي

عليه من أخطار سببتها طبيعة المنطقة في حد ذاتها أو تسببت فيها مقاومة الأهالي الذين شعروا بالنوايا الحقيقية لهؤلاء الرحالة (مقتل العديد من هؤلاء الرحالة في الصحراء الجزائرية) من أجل البحث والعلم فقط.

صحيح أنهم أثروا المكتبات بكم هائل من المعلومات حول طبيعة الصحراء وسكانها وثرواتها الإقتصادية ولكن هذه الأخبار كانت موجهة بالدرجة الأساسية لخدمة الاستعمار الفرنسي وإلا فكيف يمكن أن نفسر الدعم المادي والمعنوي الذي قدمه الحكام والهيئات الحكومية الفرنسية لهذه البعثات الإستطلاعية.

الهـــوامـــــش

1- إسماعيل العربي – الصحراء الكبرى وشواطئها – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1983 – ص 64.

2- أندري بريتان وآخرون – الجزائر بين الماضي و الحاضر – ترجمة رابح اسطنبولي وآخرون – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1984 – ص 384 – 385.

3- E. MANGIN – notes sur l'histoire de Laghouat in Revue Africaine – n° 38 Année 1894 – O.P.U. Alger P.87.

4- يحي بوعزيز – ثورات الجزائر في القرنين 19 – 20 — منشورات م.و.م – الجزائر – 1996م – ج1 ص 309.

PAUL AZAN – conquête et pacification de l'Algérie – librairie de France-Paris – 1929 P. 407.

6- يحي بوعزيز – نفس المرجع – ص 310.

7- Malte Brun (V.A)-résumé historique et géographique de l'exploration de Gerhard Rholfs an touat et in Salah – Paris 1866 – P 67.

8- إسماعيل العربي – الصحراء الكبرى و شواطئها – ص 101.

9- A.Bernard et Lacroix –la pénétration Saharienne –Gouvernement Général de la France – Alger . 1906 – P.13 – 14.

10- إسماعيل العربي – نفس المرجع – ص 70.

11- محمد العربي الزبيري – مقاومة الجنوب للإحتلال الفرنسي – ش.و.ن.ت. الجزائر – 1972 – ص.32

12- ابراهيم مياسي – توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري – منشورات م.و.م– 1996 – ص .48

13- Henri Lhote – les touaregs du Hoggar– lib. Payot– paris– 1944–P.328-329. -13

14- G.O. Meynier - la pacification du Sahara et la pénétration Saharienne – Pub. Du Comité Nat. Métrop. Du Centenaire –Alger – 1930 – P. 11.

15- إسماعيل العربي – نفس المرجع – ص 88.

16- إسماعيل العربي – نفس المرجع – ص 90-91. **G.O. Meynier - op-cit P. 10 /**

17- ابراهيم مياسي – نفس المصدر – ص 59 – 60.

18- يحي بوعزيز – نفس المرجع – ص .315

19- أندري بريتان و آخرون – نفس المرجع – ص .389

20- نفسه – ص .389

21- نفسه – ص 385 – 386.